أحمد يوسف نجاتي (١)

الاستاذ حسين علي محفوظ

قرأنا في العراق — أيام الدراسة — على طائفة من أشياخ مصر، ونفر من أئمة اللغة في مغانيها، وردوا العراق، فانتهزنا فرصة مقامهم، ولبثوا فيها فاهتبلنا مكثهم، أقبلنا على الأخذ عنهم، واعتكفنا على الإفادة منهم، وتوفرنا على الدراسة عليهم، وقد كانت أيامهم حفلا، يعمرها الأنس، ويغمرها البشر، وتشوبها النعماء

(١) نقلا من (رجال أعرفهم وبعرفوني) وهو من تآليف الخطيب.

لازمتهم ملازمة السقب لظئره لا يزايلها، وخالطتهم مخالطة الابن لأبيه لا يفارقه. ولا أزال أعضهم هواي، ولا أنفك أسقيهم ودي، وقد شغفت حبا بفضلهم، وأولعت وجداً بعلمهم، وأغريت صبابة بخلقهم. وكنت إذا آن أوان الدرس أقبل عليهم ولا كالظمآن، وأهفو إليهم ولا كالعجلان. وكان ذلك يقربهم مني ويزلفني عندهم. وقد كان يجمعني معهم شعر، ويؤلف شملنا أدب، ولقد كان فراقهم يوم حزن لم أستطع صبراً عليه، وكان تحملهم يوم أسى لم أملك حملا له

وما أنس لا أنس شيخهم في مصر — غير مكابر — إمام النحاة أستاذنا أحمد يوسف نجاتي، الذي أعجبت بفصاحته، وأغرمت بمنطقه، وكلفت بشمائله، وهو عيبة علم حافلة، وجؤنة أدب ساطعة، تنم على فضله أصول الأدب التي هذبها، وتدل على علمه دواوين اللغة التي أوضحها، وتعبر عنه مجاميع السير التي حررها (٢)

قرأنا عليه النحو، فذكرنا سيبويه، وقرب من خواطرنا ابن هشام، وأحيا ابن يعيش وأسمعنا الكسائي، ونشر المبرد. ولا نزال كلما ذكرناه حننا نزوعاً نحوه، وطربنا شوقاً إلى القرب منه، ووزدنا وجداً إلى لقياه

وهو من بيت شهير ينميه إلى سيدي الناس فرع شامخ، وعرق طيب، وحسب باذخ، ونسب وضاح. كان آباؤه من أئمة علماء الدين وأولي الأمر والوجاهة بالإسكندرية، درس في مجالس العلم بالمساجد، وتخرج في دار العلوم سنة ١٩٠٦ لايعاوره ملاءة الحضر أحد أبداً. وكان لازم الإمام الحكيم الشيخ محمد عبده — رضي الله عنه — واقتدى بهداه؛ وهو وارث علمه الجم، وأدبه الغزير، وخلقه العظيم، وفضله الباهر، ومواهبه الجسيمة، وتواضعه الوافر. وأنا لا أعرف أحداً أحاط بفنون اللغة سواه،

والأخذ بيده إلى سبيل الحياة الحافلة بالكفاح، لأطرح المبادئ والمثل في سبيل تسليته وتحذير أعصابه

ولا يعني ذلك أن تهمل الصحافة الشعب ولا تلتفت إليه؛ ولكن الذي أقصد إليه أن يكون للصحافة مبدأ إصلاحي، وهدف سام تسعى إلى تحقيقه؛ ترتفع بالشعب إذا رأته يتدنى في أخلاقه وفي مثله، وتبصره بالسبل الواضحة إذا ما زاغ عنها معبرة في كل ذلك عن رغباته وآماله

وصحافتنا بحاجة إلى تأديب لاكتساب أسلوب الأدب في تعبيره لتدب فيها الحياة، ولتؤثر في قلوب القارئين وفي عقولهم، ولتأخذهم شيئاً فشيئاً إلى ذخائر الفكر، وروائع الفن، فتصل بينهم وبين الأدب الخالد، والثقافة الواسعة، وترتفع بهم إلى حياة واعية، ينعمون فيها بالحرية التامة، ويبصرون فيها سبل الإصلاح

فإذا ما أدبت الصحافة على هذا الأساس: بأن رفعت كرامة العقل ونزاهة القلم فوق كل اعتبار، وبأن أشاعت الحياة في تعبيرها واتخذت طريق الأدب في أسلوبها؛ أصبحت أقوى وسيلة من وسائل التأثير في النفوس وتوجيه الإصلاح في المجتمع، وأصبحت (صاحبة الجلالة) حقا

دير الزور — سوريا — محمد ابراهيم الجزائري

(٢) وهي كثيرة منها: ا — وفيات الأعيان ب — نفح الطيب ج — مقدمة ابن خلدون. د — زهر الآداب هـ — متن الكافي في علمي العروض والقوافي و — دلائل الإعجاز ز — أسرار البلاغة. ومن كتبه: ا — الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي وتاريخه بمصر منذ الفتح العربي إلى العصر الأيوبي. ب — آداب العرب في الجاهلية وصلتها بالأدب العربي ج — التطبيقات العربية العامة — مجموع كتبه ورسائله هـ — ديوان شعره.

ولا أدري بأحد ملك نواصي الأدب غيره

جاء العراق فهللنا ، وأقبل علينا ولا إقبال الحيا على الثرى المكروب فتشوقنا لدروسه تشوق الظمآن إلى الماء ، واستمسكنا بمجلسه ولا استمساك الخائف بالأمن . وقد حل ساعة ورد بيت (رحمة الله الطالة بانى) من أهل الجاه ببغداد واحتفوا به فأنشد موريا :

تغربت عن مصر ببغـــداد طائعاً
وقد حيل ما بيني وبين هوى النفس
يقولون يشفيك الأنيس من الجوى
ومالي إلا رحمـــة الله من أنس

وكان أراد في فضون دراستنا عليه ، وإبان أخذنا عنه ، أن يجرب علمنا ويمتحن ذكاءنا ، ويختبر فهمنا ، وكان يعبر عن الامتحان بقرع الصفاة ، فأقبل والصبح في المنفوان ، وقال أريد لأقرع صفاتكم ، فقلت أجيبه موريا :

أيهذا البحر الذي جمع الط ... م فأوعى ورام قرع صفاتي
أنا إن رزتني ولا غرو صلب ... مكسري لم تلن لغمز قناتي
وإذا كنت أنت ثقفت عودي ... فحرام ألا أبز لداتي
أنا إما أغوص في بحرك اللجـ ... ـي لا أختشي فأنت نجاتي

وكنت وقفت نفسي على مصاحبته ، وتذرتها لتقييد أوابده ، وعقل شوارده ، وتصيد نوافره . وما أنس لا أنس فائق إعزازه إياي ، وإعظامه لي ، وثقته بي . وكان ينسبني إذا سئل عني إلى الارتفاع عن حضيض التقليد إلى يفاع الاطلاع على الدليل ، ويعزوني في إثبات الحكم على الحجة والتعليل

وهو (حفظه الله) — وقد ذرف على الستين — حفظة لا تخفى عليه اللمحة ، ولا تغرب عنه الأصول

كان يسابق الفجر ، ويسارع إلى النهوض ، وطالما رأيته يتوضأ والليل شامل ، وكان رأس ما عظمه في عيني دين يستمسك بعروته ، وإيمان يعتصم بحبله ، كان يتهدج بالقرآن في الغدو ، إذا وخط المشيب عارضي الليل ، ويرتل الكتاب في الآصال إذا أوشك أن يتخفر النهار . وقد كان ينطق بالفضل ، ويتفجر الظرف من جوانبه ؛ قال :

وإني وإن دب في المشيـ ... ـب فتى الفؤاد قوي الأمل
أنزه طرفي بروض الجمال ... على رغم من لام أو من عذل
وأصبو إلى الحسن أنى أراه ... كأني ببرد الصبا لم أزل
وأجمع بين الهوى والتقى ... وقلب إذا جد حيناً هزل
وما صدني عن هوى طاهر ... بياض المشيب بفودي نزل
(وقد علم الناس أني امرؤ ... أحب النزال وأهوى النزل)
وما لامرئ لذة في الحياة ... إذا هو عاف الصبي واعتزل

وهو طيب النفس لا يبخل على أوليائه وخلانه بالمزح . وطرائفه لا يحصرها العد ، ولطائفه لا يدركها الحصر . وكأني به يتمثل بقول الشاعر :

أفد طبعك المكدود بالهم راحة
قليلا وعلله بشيء من المزح
ولكن إذا أعطيته المزح فليكن
بمقدار ما تعطي الطعام من الملح

العراق — الكاظمية

حسين علي محفوظ

تاريخ الأدب العربي

للاستاذ أحمد حسن الزيات

يؤرخ الأدب العربي من عصر الجاهلية إلى هذا العصر، بأسلوب قوي ، واستيعاب موجز، وتحليل مفصل ، واختيار موفق، ومقارنة بين الأدب العربي والآداب الأخرى

طبع اثنتي عشرة مرة في ٥٢٥ صفحة

وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد